

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

((وَلَا يَجْتَمِعُ الشُّحُّ وَالْإِيمَانُ))

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، أَرْشَدَ عِبَادَهُ إِلَى مَا فِيهِ سَعَادَةُ الدُّنْيَا وَالْفَوْزُ يَوْمَ الدِّينِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، جَعَلَ فِي الْإِيثَارِ عَلَى النَّفْسِ طَرِيقًا إِلَى بُلُوغِ دَرَجَةِ الْمُفْلِحِينَ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، أَكْرَمَ الْخَلْقِ وَأَعْظَمُهُمْ إِيثَارًا، ﷺ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَاتَّبَاعِهِ الْمُزْتَفِعِينَ بِالْإِيثَارِ مَقَامًا وَأَقْدَارًا.

أَمَّا بَعْدُ، ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَأَسْمِعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لَأَنْفُسِكُمْ وَمَنْ يُوقْ شِحْحَ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (١).

أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ:

إِنَّ هَذَا الدِّينَ الْحَنِيفَ يَدْعُو إِلَى كُلِّ مَا مِنْ شَأْنِهِ أَنْ يَرْتَفِعَ بِالْإِنْسَانِ إِلَى أَعْلَى الْمَرَاتِبِ، وَيَعْرِجَ بِهِ إِلَى أَرْقَى الدَّرَجَاتِ، وَإِنَّ مِنْ أَعْظَمِ الْأَخْلَاقِ الَّتِي دَعَا إِلَيْهَا الْإِسْلَامُ خُلُقَ الْإِيثَارِ، وَمَا أَدْرَاكَ مَا خُلُقُ الْإِيثَارِ! ذَلِكَ الْخُلُقُ الْعَظِيمُ الَّذِي تَسْتَقِيمُ بِهِ حَالُ الْإِنْسَانِ مَعَ نَفْسِهِ؛ فَيَكُونُ مُطْمَئِنِّ النَّفْسِ، مُنْشَرِحَ الصَّدْرِ، لَهُ مِنَ الْفَلَاحِ بِمِقْدَارِ نَصِيبِهِ مِنَ الْإِيثَارِ؛ فَمَنْ كَانَ أَعْظَمَ إِيثَارًا كَانَ أَكْثَرَ فَلَاحًا، وَقَدْ قَالَ اللَّهُ جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿وَلِكُلِّ دَرَجَةٍ مِمَّا عَمِلُوا وَمَا رَبُّكَ بِغَفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ (٢)، وَبِالْإِيثَارِ تَسْتَقِيمُ عِلَاقَةُ الْإِنْسَانِ بِوَالِدَيْهِ وَأَهْلِهِ وَأَوْلَادِهِ، وَجِيرَانِهِ وَأَصْدِقَائِهِ، وَمَنْ يَعْمَلُونَ مَعَهُ مِمَّنْ يَكُونُ مَسْئُولًا عَنْهُمْ أَوْ مَسْئُولِينَ عَنْهُ؛ فَيَكُونُ التَّآخِي وَالْوِثَامُ، وَالتَّحَابُّ فِي اللَّهِ وَالتَّعَاوُنُ عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى.

وَهَذِهِ الصِّفَةُ الْجَلِيلَةُ - عِبَادَ اللَّهِ - لَا تَكُونُ فَرْدِيَّةً فَحَسْبُ، بَلْ تَكُونُ مِنْ جَمَاعَةٍ إِلَى جَمَاعَةٍ، وَمِنْ أُمَّةٍ إِلَى أُمَّةٍ؛ لِأَنَّ الْإِيثَارَ مَعْنَاهُ سَمَاحَةُ النَّفْسِ بِمَا هُوَ لَهَا لِتَحْقِيقِ مَصْلَحَةِ،

(١) سورة التغابن/ ١٦.

(٢) سورة الأنعام/ ١٣٢.



وَتَحْصِيلِ فَضِيلَةٍ وَمَنْفَعَةٍ، وَهَلْ هُنَاكَ شَيْءٌ أَعْظَمُ مِنْ أَنْ يَتَنَزَّلَ الْإِنْسَانُ عَنْ حَقِّ دُنْيَوِيٍّ أَوْ عَنْ شَيْءٍ هُوَ لَهُ لِيَقْوِيَّ بِذَلِكَ أَصْرَةَ قَرَابَةٍ أَوْ أُخُوَّةٍ فِي اللَّهِ أَوْ حِيرَةٍ، وَيَبْدَ فِتْنَةً قَدْ تَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ وَالِدِهِ، أَوْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَخِيهِ، أَوْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ قَرِيبِهِ، أَوْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَهْلِهِ وَأَوْلَادِهِ فِي بَيْتِهِ، أَوْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ زُمَلَائِهِ فِي الْعَمَلِ، أَوْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ حِيرَانِهِ، وَكَمْ مِنْ إِنْسَانٍ كَادَ يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَحَدٍ مِنَ النَّاسِ أَوْ طَائِفَةٍ مِنْهُمْ عَدَاوَةً مُحَقَّقَةً تَأْكُلُ الْأَخْضَرَ وَالْيَابِسَ، فَلَمَّا تَنَازَلَ عَنْ شَيْءٍ قَلِيلٍ مِمَّا لَهُ مِنْ حُقُوقِ مَعْنَوِيَّةٍ أَوْ مَادِّيَّةٍ ذَهَبَتْ تِلْكَ الْفِتْنَةُ الَّتِي كَادَتْ تَكُونُ، مِنْ غَيْرِ رَجْعَةٍ غَيْرِ مَأْسُوفٍ عَلَيْهَا، فَتَالَ مِنَ الْفَلَاحِ مَا لَا يَبْلُغُ حَقُّهُ الَّذِي تَنَازَلَ عَنْهُ عَشْرَ مِئَاتٍ مِئَاتٍ ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾ (١)، وَقَدْ قَالَ جَلَّ جَلَالُهُ فِي مَوْضِعَيْنِ مِنَ الذِّكْرِ الْحَكِيمِ: ﴿وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (٢).

وَكَمِ مِنْ أُمَّةٍ - أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ - كَانَتْ فِيهَا مِنَ الْعُقَلَاءِ مَا خَلَّصَ أُمَّتَهُمْ مِنْ شَرِّ مُسْتَطِيرٍ، وَمَا كَانَتْ لِيَكُونَ ذَلِكَ مِنْ غَيْرِ الْإِيثَارِ الَّذِي دَعَا إِلَيْهِ الْحَقُّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَكَانَ فِيهِ الرَّسُولُ الْكَرِيمُ الْأُسْوَةَ الْحَسَنَةَ: ﴿لَمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ (٣)، وَقَدْ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلنَّاسِ حَالَ الْأَنْصَارِ مَعَ الْمُهَاجِرِينَ، مَثَلًا سَائِرًا إِلَى أَنْ يَقُومَ النَّاسُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، فَقَدْ هَاجَرَ الْمُؤْمِنُونَ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ تَارِكِينَ أَمْوَالَهُمْ وَدُورَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ اسْتِجَابَةً لِلَّهِ وَرَسُولِهِ، فَمَا كَانَ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ إِلَّا أَنْ أَوْوَهُمْ، وَالْعَادَةُ عِنْدَ الْبَشَرِ إِلَّا يَقْبَلُوا أَحَدًا يَنْزِلُ عَلَيْهِمْ فِي دَارِهِمْ، وَيُشَارِكُهُمْ فِي أَرْضِهِمْ وَمَالِهِمْ، وَقَدْ اشْتَهَرَ عِنْدَ النَّاسِ قَدِيمًا قَوْلُهُمْ: "وَيْلٌ لِلأَهْلِ مِنَ النَّازِلِ"، غَيْرَ أَنَّ أَهْلَ الْمَدِينَةِ تَرَكَوا تِلْكَ الْمَقُولَةَ خَلْفَهُمْ، وَتَخَلَّصُوا مِنَ الشُّحِّ الْمُلَازِمِ لِلنَّفُوسِ، وَرَغِبُوا فِيمَا عِنْدَ اللَّهِ، وَأَوْوُوا إِخْوَانَهُمْ، وَقَسَمُوا لَهُمْ مِنْ أَرْضِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ، حَتَّى اسْتَحَقُّوا ثَنَاءَ اللَّهِ الْخَالِدِ فِيهِمْ فِي قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْأَيْمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (٤).

أَقُولُ قَوْلِي هَذَا وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ لِي وَلَكُمْ، فَاسْتَغْفِرُوهُ يَغْفِرْ لَكُمْ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ

(١) سورة النساء/ ١٢٢.  
(٢) سورة التَّغَايُنِ/ ١٦.  
(٣) سورة الْأَحْزَابِ/ ٢١.  
(٤) سورة الْحَشْرِ/ ٩.

الرَّحِيمِ، وَادْعُوهُ يُسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الْكَرِيمُ.

\*\*\*\*\*

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، ﷺ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَأَتْبَاعِهِ الْأَبْرَارِ الْمُتَّقِينَ.  
أَمَّا بَعْدُ،

فَاتَّقُوا اللَّهَ - عِبَادَ اللَّهِ -، وَاَنْظُرُوا كَيْفَ أَنْ الْحَقَّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ذَكَرَ الشُّحَّ عِنْدَ ذِكْرِ أَحْكَامِ الْأُسْرَةِ فِي مَوْضِعَيْنِ، وَالشُّحُّ عَكْسُ الْإِيثَارِ؛ فَالشُّحُّ عَدَمُ سَمَاحِ النَّفْسِ بِشَيْءٍ مِمَّا لَهَا مِنَ الْمَعْنَوِيَّاتِ أَوْ مِنَ الْمَادِّيَّاتِ، وَإِنَّ مِنَ الشُّحِّ أَنْ يَتَمَسَّكَ الْإِنْسَانُ بِحُقُوقِهِ وَيَقْرُطَ فِي وَاجِبَاتِهِ، كَانَ ذَلِكَ فِي بَيْتِهِ أَوْ عَمَلِهِ أَوْ بَيْنَ أَهْلِهِ وَجِيرَانِهِ وَأَبْنَاءِ مُجْتَمَعِهِ، وَكَمْ مِنْ أُسْرَةٍ تَشْتَتُّ بَعْدَ ائْتِلَافِ شَمْلِهَا بِغَلْبَةِ الشُّحِّ عَلَى الْإِيثَارِ، فَافْتَرَقَ الزَّوْجَانِ، وَتَعَطَّلَتْ مَصَالِحُ الْأَوْلَادِ، وَقَاتَتْ تَرْبِيَّتُهُمْ وَمُتَابَعَتُهُمْ، وَالسَّبَبُ كُلُّ السَّبَبِ الْأَنَانِيَّةُ الَّتِي سَمَّاها الْقُرْآنُ وَالنَّبِيُّ ﷺ شُحًّا، وَلَوْ تَنَازَلَ أَحَدُ الزَّوْجَيْنِ أَوْ كِلَاهُمَا عَنْ قَلِيلٍ مِنَ الْحَقِّ لَمَا كَانَ مَا قَدْ كَانَ.

وَفِي مِثْلِ هَذِهِ الْأَحْوَالِ - أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ - يَحْضُرُ الشُّحُّ وَيَغْلِبُ عَلَى النَّفْسِ؛ وَلِذَلِكَ كَانَ مِنْ أَعْظَمِ الْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَنْ يُجَاهِدَ الْإِنْسَانُ شُحَّ نَفْسِهِ، يَقُولُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَإِنْ أَمْرًا خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُورًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ (١)، وَقَالَ فِي سُورَةِ التَّغَابُنِ: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَأَسْمِعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِأَنْفُسِكُمْ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (٢)، وَإِذَا كَانَ الْإِيثَارُ مِفْتَاحَ الْفَلَاحِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، فَإِنَّ الْأَنَانِيَّةَ بَابُ الشَّرِّ وَالْهَلَاكِ وَالْعِيَادُ بِاللَّهِ، وَفِي الْأَثَرِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: ((إِيَّاكُمْ وَالشُّحَّ؛ فَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِالشُّحِّ؛ أَمْرَهُمْ بِالْبُخْلِ فَبَخِلُوا، وَأَمْرَهُمْ بِالْقَطِيعَةِ فَقَطَّعُوا، وَأَمْرَهُمْ بِالْفُجُورِ فَفَجَرُوا))، وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: ((وَلَا يَجْتَمِعُ الشُّحُّ وَالْإِيمَانُ فِي قَلْبٍ عَبْدٍ أَبَدًا)).

(١) سورة النساء/ ١٢٨.

(٢) سورة التغابن/ ١٦.

هَذَا، وَصَلُّوا وَسَلِّمُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ الْأَمِينِ، فَقَدْ أَمَرَكُم رُبُّكُم بِذَلِكَ حِينَ قَالَ: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (١).

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ وَسَلَّمْتَ عَلَى نَبِيِّنَا إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ نَبِيِّنَا إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى نَبِيِّنَا إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ نَبِيِّنَا إِبْرَاهِيمَ فِي الْعَالَمِينَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، وَارْضَ اللَّهُمَّ عَنْ خُلَفَائِهِ الرَّاشِدِينَ، وَعَنْ أَزْوَاجِهِ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ، وَعَنْ سَائِرِ الصَّحَابَةِ أَجْمَعِينَ، وَعَنْ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ، وَعَنْ جَمْعِنَا هَذَا بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

اللَّهُمَّ اجْعَلْ جَمْعِنَا هَذَا جَمْعًا مَرْحُومًا، وَاجْعَلْ تَفَرُّقَنَا مِنْ بَعْدِهِ تَفَرُّقًا مَعْصُومًا، وَلَا تَدْعُ فِيْنَا وَلَا مَعَنَا شَقِيًّا وَلَا مَحْرُومًا.

اللَّهُمَّ أَعِزَّ الْإِسْلَامَ وَاهْدِ الْمُسْلِمِينَ إِلَى الْحَقِّ، وَاجْمَعْ كَلِمَتَهُمْ عَلَى الْخَيْرِ، وَاكْسِرْ شَوْكَةَ الظَّالِمِينَ، وَاكْتُبِ السَّلَامَ وَالْأَمْنَ لِعِبَادِكَ أَجْمَعِينَ.

اللَّهُمَّ يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ بِكَ نَسْتَجِيرُ، وَبِرَحْمَتِكَ نَسْتَعِيثُ أَلَّا تَكِلَنَا إِلَى أَنْفُسِنَا طَرْفَةَ عَيْنٍ، وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ، وَأَصْلِحْ لَنَا شَأْنَنَا كُلَّهُ يَا مُصْلِحَ شَأْنِ الصَّالِحِينَ. اللَّهُمَّ رَبَّنَا احْفَظْ أَوْطَانَنَا وَأَعِزَّ سُلْطَانَنَا وَأَيِّدْ بِالْحَقِّ وَأَيِّدْ بِهِ الْحَقَّ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ، اللَّهُمَّ أَسْبِغْ عَلَيْهِ نِعْمَتَكَ، وَأَيِّدْهُ بِنُورِ حِكْمَتِكَ، وَسَدِّدْهُ بِتَوْفِيقِكَ، وَاحْفَظْهُ بِعَيْنِ رِعَايَتِكَ.

اللَّهُمَّ أَنْزِلْ عَلَيْنَا مِنْ بَرَكَاتِ السَّمَاءِ وَأَخْرِجْ لَنَا مِنْ خَيْرَاتِ الْأَرْضِ، وَبَارِكْ لَنَا فِي ثَمَارِنَا وَزُرُوعِنَا وَكُلِّ أَرْزَاقِنَا يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ.

رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ.

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ، الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ، الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْأَمْوَاتِ، إِنَّكَ سَمِيعٌ قَرِيبٌ مُجِيبُ الدُّعَاءِ.

عِبَادَ اللَّهِ ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾.